الرَّوْضُ الأَرِيض

شعر: د. محمد الحافظ الروسي
المغرب

لاَ تَسَلْنِي عَنْ حقْده : لاَ يَـــزُولُ !
قَدْ بَدَتْ منْهُ حَسْـــرَةٌ وَذُهُـــول

وَجَـرَتْ فِـي أَعْصَابِـه عَاصِفَـاتٌ
مُنْذِرَاتٌ أَنَّ الْهَـوَى مُسْتَحِيـــلُ

تُقْطَعُ الأَشْجَارُ الْجَمِيلَةُ فِيهَـا
وَمَغَـان وَأَيْكَـةٌ وَنَخِيـــلُ

قَدْ رَوَاهَـا مِنْ أَوَّلِ الدَّهْـرِ مَـــاءٌ
بَـرَدَى أَصْلُـهُ وَعَـدْنٌ وَنِيـــلُ

فَجْأَةً ثُمَّ طَارَ عُصْفُورُهَـا الدُّو
رِيُّ ، وَالطَّيْـرُ ، إِنْ تَسَلْنِي ، مَلُـولُ

أَيُّهَا الْعُصْفُورُ الْجَمِيلُ تَمَاسَكْ
رِحْلَـةٌ بَعْـدَ رِحْلَـةٍ وَقْفَـــولُ

قَدْ تَأَنَّى مَنْ أَمْسَكَ الفَجْرَ حَتَّى
أَقْبَلَ الضَّوْءُ سَيْفُهُ الْمَسْلُولُ

مِنْ سَوَاقِي النُّورِ الْمُشِعِّ شَرِبْنَا
وَعُيُونُ الضَّوْءِ الرَّقِيقِ تَسِيـــلُ

وَضَمَمْنَا ضَمَّ الْحَبِيبِ حَبِيباً
شُعْلَةَ الْحَقِّ ، وَالطَّرِيقُ طَوِيـــلُ

لاَ تَسَلْنِي عَنْ حَرِّهَا فَهْوَ فَيْءٌ
إِنْ أَضَاءَتْ لَيْلاً وَظِلٌّ ظَلِيـــلُ

إِنْ أَتَاهُ الْوَرْدُ الْجَمِيلُ فَأَهْوَى
يُمْسِكُ الْوَرْدَ فَارِسٌ مَخْذُولُ

فَالَّذِي أَمْسَكَ الْوُرُودَ ذَبِيحٌ
وَالَّذِي أَرْضَى الْوَارِدَاتِ خَلِيـــلُ

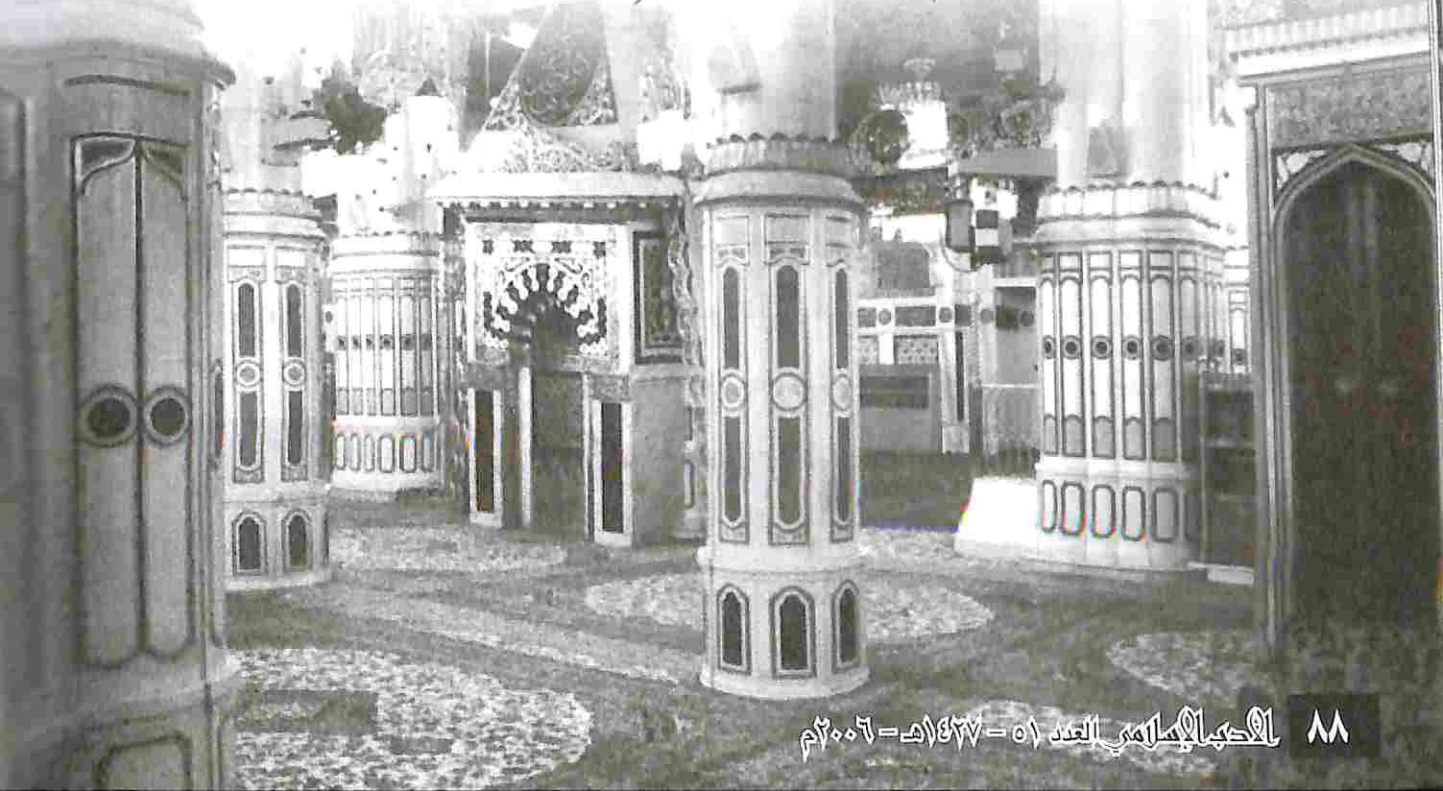

وَالأَبُ الْعَانِي مِنْ وَقُودِ مُنَاهُ ... وَابْنُهُ يَمْشِي خَلْفَهُ جِبْرِيلُ

ثُمَّ قَامَتْ قِيَامَةُ النَّاسِ طَوْعَا ... لَا تَنَادٍ فِيهَا وَلَا تَأْمِيلُ

لَمْ نَكُنْ خَلْفَ الْعَادِيَاتِ جَمِيعاً ... غَيْرَ أَنَّا بِالْعَادِيَاتِ نَطُولُ

صَحْوَةٌ بَارَكَ الإِلَهُ سَنَاهَا ... وَالنَّبِيُّ الْكَرِيمُ وَالتَّنْزِيلُ

وَجَرَتْ تَمْخُرُ الْعُبَابَ سَرِيعاً ... وَالْهَوَاءُ النَّدِيُّ مِسْكٌ بَلِيلُ

لَحْظَةً ثُمَّ هَبَّ عَاصِفُ يَمٍّ ... مُسْتَطِيرٌ مِنْ حُزْنِنَا مَفْتُولُ

أَبَقَ الْمَوْجُ وَالسَّمَاءُ غُيُومٌ ... وَاسْتَوَى الصُّبْحُ فَوْقَهُ وَالأَصِيلُ

أَخْرَسَ الْمَوْجُ طَائِرَ الشَّامِ فِينَا ... وَطُيُورُ الْعِرَاقِ خُرْسٌ تَمِيلُ

هَلْ يُغَنِّي سُلَافَةَ الدَّهْرِ طَيْرٌ ... خَلْفَهُ هَمٌّ ، لَا يُدَارَى ، ثَقِيلُ

كَيْفَ يَشْدُو مَنْ صَوْتُهُ مِنْ حَوَامِيـ ... ـمَ ، وَلِلْبَيْعِ قَلْبُهُ الْمَوْصُولُ

وَإِلَى مَنْ عُصْفُورُ شَامٍ يُغَنِّي ... لَحْنَهُ الْمُرُّ ، وَالْجَوَابُ عَوِيلُ ؟

يَا شَهِيداً تَأَنَّقَ الْمَوْتُ فِيهِ ... وَقَتِيلُ الْيَهُودِ سَيْفٌ صَقِيلُ

أَحْمَدُ اللهَ أَنْ رَأَيْتُ زَمَاناً ... أَنْتَ فِيهِ الْمُعَرَّفُ الْمَجْهُولُ

فِيكَ يَا أَحْمَدُ الشَّهِيدُ خِصَالٌ ... لَمْ تَكُنْ فِينَا وَالرِّيَاضُ مَحِيلُ

فِيكَ صَوْتُ الصَّحْبِ الْكِرَامِ عَمِيقٌ ... وَالْعَوَالِي تَهُزُّهُمْ وَالصَّهِيلُ

فِيكَ نَحْنُ الَّذِينَ خَلْفَكَ طُرّاً ... لَمْ نَنُحْ ، وَالْبُكَاءُ فِيكَ نَبِيلُ

عَلِمَ الْجُنْدُ أَنَّ أَحْمَدَ فِيهِمْ ... فَتَبَاهَتْ عَرَائِشٌ وَحُقُولُ

وَاسْتَوَى النَّسْرُ فِي ذُرَاهُ قَلِيلاً ... ثُمَّ أَلْوَى مُرَادُهُ التَّنْوِيلُ

أَيُّهَا الصَّوْتُ مِنْ فِلَسْطِينَ : عَفْواً ! ... كَيْفَ مَاتَ الْبَاغِي وَعَاشَ الْقَتِيلُ؟!

أَيُّهَا الصَّوْتُ مِنْ فِلَسْطِينَ : عَفْواً ! ... هَا زَمَانٌ كَأَنَّهُ التَّخْيِيلُ

يُقْتَلُ الْعَاشِقُونَ فِيهِ تَبَاعاً ... وَتُصَانُ الْعِدَى وَيُهْجَى الرَّسُولُ

قَدْ طَرَدْنَا فَرَنْجَةً وَمَغُولاً ... كَيْفَ عَادَتْ فَرَنْجَةٌ وَمَغُولُ

قَرَّرُوا حَرْقَ الْيَاسَمِينِ وَأَدَّتْ ... ؟!رَقْصَةَ الْمَوْتِ فِتْيَةٌ وَكُهُولُ

وَأَبَيْنَا وَعَلَّلَ النَّفْسَ قَوْمٌ ... وَالْمُعَنَّى مِنْ زَادِهِ التَّعْلِيلُ

أَتُحِبُّ الْجَمِيلَ بَهْراً بُثَيْنٌ ... وَجَمِيلٌ بِغَيْرِهَا مَشْغُولُ

يَقْتَضِي الْعِشْقُ غَيْرَ هَذَا وَيَأْبَى ... ؟!مَنْ يُغَنِّي أَنْ يَسْقُطَ الإِكْلِيلُ

كَتَبَ التَّارِيخُ الْمُصَدَّقُ طِرْساً ... وَعَلَى الطِّرْسِ هَيْبَةٌ وَقَبُولُ

يَا حَبِيبَ اللهِ الْمُعَظَّمَ فِينَا ... لَا تَسَلْنِي عَنْ حِقْدِهِمْ : لَا يَزُولُ !